وكان أصحابه يموتون كل يوم مئات، صرعى الجوع والبرد منهم أكثر من صرعى السيوف والسهام والنار الروميَّة،[٢] ولكن مسلمة لم يَنْكِل … وما يزال أصحابه يطيعونه، والموت يتخطَّفُ إخوانهم من حولهم جماعاتٍ جماعات يبلغون الآلاف، والمدد الذي أرسله سليمان ما يزال في الطريق.

وكان سليمان — مما نال مسلمة — في همٍّ دائمٍ بالليل والنهار، وزاده همًّا أنَّ ولده أيوب الذي كان يُرَجِّيه لولاية عهدِه قد احتضره الموت شابًّا في ريعانه، فبكى سليمان وقال: الآن لا يدعون أيوب ولا أبا أيوب!

ثم لم يلبث أن لزِمَ فراشه ودبَّ إليه الموت.

وكان عهده — بعد ولده أيوب — إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان …

وقال الخليفة عمر، وقد جلس في ديوانه: ردُّوا على الشام هذه الفلول المبعثرة في البر والبحر من جيش مسلمة، إنَّ لتلك المدينة موعِدًا لم يَحِن بعد، وإني لأخاف أن يأتي الجوع والبرد عليهم جميعًا فتكون جريرتها على رأسِ عمر!

وخبَّ البريد إلى مسلمة بالنبأ، وسِيقت إليه الركائِبُ في البر والبحر؛ لتحمِل من معه إلى الشام.

[٢] النار الرومية: قذائف من النفط تُلقى مشتعِلة من فوق الأسوار على الجند الذين يحاصرون المدينة.